التي لم تكن بدورها في أمان . لقد كان الصهيونيون على الرغم من كونهم أقل عددا من الفلسطينيين العرب أكثر وأفضل منهم عدة وأحسن تنظيما بحيث تركت نجـــاحاتهم العسكرية أملا ضئيلا للمدنيين العرب العزل من السلاح بأن يشعروا بالامان . ثم وقعت مذبحة دير ياسين الرهيبة التي جرى الاعلام عنها بطريقة مقصودة ترمي الـــى نشر الرعب في قلوب المدنيين العزل . وقد سقط ضحية هذه المذبحة ٢٥٤ مدنيا عربيا ـــ من الرجال والنساء والاطفال ـــ في التاسع من نيسان ١٩٤٨ . وارتكب الصهيونيون اعمالا وحشية مماثلة اثارت الهلع في النفوس وادت الى الفرار الجماعي من البلاد طلبا للسلامة بحيث اخليت البلاد تقريبا واعلن قيام اسرائيل .

وقررت عائلة صايغ مغادرة بيتها في طبرية مثل الاف الناس الاخرين ، وانتهى بها الامر في لبنان فاقامت في بيروت حيث درّس توفيق لفترة من الزمن الادب العربي في الجامعة الاميركية في بيروت ورئس تحرير « صوت المرأة » التي كانت تصدر في بيروت باللغـــة العربية عن الاتحاد النسائي اللبناني . ثم أصبح بعد ذلك مديرا لمكتبـــة مركز الاعـــلام الاميركي في بيروت .

وحاز توفيق في العام ١٩٥١ على منحة مؤسسة روكفلر لدراسة الادب المقـــارن في جامعة هارفارد . ثم نال في العام ١٩٥٢ منحة من المجلس الثقافي البريطاني لدراسة الادب في جامعة اكسفورد . وفي السنة الدراسية ١٩٥٣ ـــ ١٩٥٤ تابع الدراسات العليا في الادب في جامعة كامبردج منهيا على حد قوله «ثلاث سنوات من الحج الادبي» . وبعد ذلك عين أستاذا للدراسات المشرقية في جامعة كامبردج لينتقل منها في العـــام ١٩٥٩ الى جامعة لندن كمحاضر في الادب العربي حيث بقي في هذا المنصب حتى العام ١٩٦٢ .

وفي العام ١٩٦٢ نفسه عاد الى بيروت ليرئس مجلة « حوار » منذ بدايتها حتـــى نهايتها في العام ١٩٦٧ ، وكانت تجربة أثرت في نفسه كثيرا ما لبث بعدها أن ذهب الى الولايات المتحدة في خريف العام ١٩٦٧ حيث قضى نحو سنة جولة يحاضر فيها فـــي الجامعات الاميركية مثل جامعة برنستون حيث ألقى سلسلة محاضرات امتدت على مدى ستة أسابيع حول الشعر العربي المعاصر . وعين في خريف العام ١٩٦٨ محاضرا في قسم لغات الشرق الادنى والادب المقارن في جامعة بيركلي في كاليفورنيه ، وبقي فيها الى ان وافته المنية في كانون الثاني من العام ١٩٧١ .

لم ينشر توفيق صايغ شيئا بعد سفره الى الولايات المتحدة عدا ترجمته العربيـــة لرباعيات ت. س. اليوت . وقد صدرت في بيروت في العام ١٩٧٠ اثناء زيارة توفيق بيروت لهذا الغرض في ذلك العام . لكنه كان قد بدأ ترجمة هذا الكتاب في العام ١٩٦١ والعام ١٩٦٢ عندما كان لا يزال في لندن ، ثم نشرها مسلسلا في مجلة « أصوات » الفصلية الصادرة بالعربية في لندن وقد قدم للمسلسل بدراسة نقدية ممتازة . ولكن أوراق توفيق الخاصة لم تكن في المتناول اذ جمعها في شقته ومن مكتبه في بيركلي اخوه الدكتور فايز صايغ . ولا تزال عائلته تدرس تلك الاوراق قبل السماح بنشرها . ومع ان توفيق احاط نفسه بستار من الصمت الا انني اعلم انه كان يكتب نوعا من المذكرات الشعرية او بالحري سيرته الذاتية شعرا كما يراه الاخرون .

ولكن توفيق خلف وراءه عددا من اعماله المنشورة اكسبته مكانة في عـــالم الادب العربي المعاصر ، وهي مكانة لا تزال موضع نقاش : فالتقليديون ينكرون عليـــه هذه المكانة انكارا شديدا ، أما الطليعيون فيعترفون له بتلك المكانة بصورة رئيسية . ولقد استوحى توفيق صوغ أفكاره من القيم الثقافية الغربية أكثر مما استوحاه من القيـــم العربية التقليدية . هذا من ناحية . ومن ناحية ثانية جاءت معاناته الروحية واهتماماته